9
4
صفحات توزع مجاناً مع جريدة المدى

ذاكرة عراقية

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون

العدد (4) الاثنين (24) آذار 2008
NO. (4) Mon . (24) March

الساعات الاخيرة في حياة نوري السعيد

علي مال اللّه

صدر عن دار الانتشار العربي في بيروت كتاب مذكرات وأسرار هروب نوري السعيد للدكتور صالح البصام وقدكتب د. البصام سيرة ذاتية مكثفة روى فيها الكثير من احداث تاريخ العراق الحديث وقد تحدث في مقدمة الكتاب عن الوجوه التي قابلها في حياته وبقيت في ذاكرته فقال: ان وجها لا يغادر ذاكرتي من عقود وسيبقى كذلك الى الممات، هو وجه المرحوم نوري السعيد، وذلك قبل ساعات من انتحاره والتمثيل بجثته، كُتب الكثير عن ١٤ تموز، ولكن ما كتبه الدكتور البصام يختلف عما كتبه الآخرون لسببين، الاول أن البصام كان ممن رأى الاحداث وشارك في بعضها، وسجن بسبب مشاركته في احداثها خلال العهد الجمهوري، وثانياً أن اللّه تعالى أعطاه العمر الطويل ليكتب لنا بخط قلمه تفاصيل تلك الاحداث وقد صحح للجميع بعض الاخطاء التي وقع بها من كتب عن حوادث يوم ١٤ تموز ,١٩٥٨

لقد كان البصام بصف نظام الملكية في العراق ومن المدافعين عن رجالها،وقد أخفى في قصره الواقع على ضفاف دجلة نوري السعيد الذي كان رئيس وزراء ووزيراً في الكثير من حكومات العهد الملكي،وتابع مساعدته له حتى بعد مغادرته مأواه الى قبل مجيء الجنود والضباط الثائرين، الباحثين عن نوري السعيد بوقت قصير حيث أشرف على إجراءات نقل السعيد بشكل سري الى بيوت تعود لعائلتة عائلة البصام في منطقة الكاظمية على أطراف بغداد الخمسينيات في ذلك الوقت بواسطة اقربائه وحتى اللحظة التي قرر فيها نوري السعيد الانتحار عند أنكشاف أمره،ووصول ثلة من الجنود من وزارة الدفاع وعلى رأسهم الضابط والمرافق الأقدم السابق لنوري السعيد وصفي طاهر لإلقاء القبض عليه بوشاية من عمر هاشم جعفر إبن صاحب البيت الذي قصده السعيد ومن بصحبته في منطقة البتاويين لبعض الوقت،وفاز ذلك الشاب فيما بعد بالمكافأة التي أعلن عنها عبد السلام عارف في الاذاعة بعد استيلاء الجيش عليها، وهو مبلغ ١٠٠٠٠دينار وأخذ الواشي هذا المبلغ فيما بعد وسافر الى بريطانيا للدراسة فيها.. ومن الملاحظ أن رواية الدكتور صالح البصام في سيرته تؤكد انتحار نوري السعيد - وهي بعكس الرويات التي تحكي عن قتله بيد المقدموصفي طاهر وجنوده، ويؤكد الكاتب أن السعيد كان ميتاً عندما قا م الطاهر بإطلاق الرصاص على جثته و بسبب إطلاقاته العشوائية أُصيبت السيدة أم عبد الامير الأستربادي التي كانت تصحب نوري السعيد كدليل، لتوصيله الى دار الشيخ محمد العريبي في منطقة البتاويين في بغداد وسقطت قتيلة قريباً من جثة نوري السعيد. وقد روى لنا أيضاً ماحدث للشريف حسين بن علي والد الشريف علي بن الحسين المطالب الحالي بعرش العراق وأمه الأميرة بديعة خالة الملك فيصل الثاني وأولادهما في ذلك اليوم، وكيف تم إنقاذهم ونقلهم الى السفارة السعودية في اليوم الثاني من احداث ١٤تموز حيث استطاع البصام أن يزورهم بالرغم من المخاطر الكثيرة في مبنى السفارة السعودية في يوم ١٦ تموز وقد وضع سماعة الطبيب حول رقبته متعللاً بمعالجة أحد المرضى في السفارة، للتمويه على الجنود العراقيين الذين كانوا يمنعون أي احد من الدخول إليها أو الخروج منها واخبر الشريف حسين بن علي ما يدور خارج السفارة من أحداث غوغائية طالت حياة المرحومين الملك فيصل الثاني وخاله الامير عبد الاله كذلك سلمه الشيك الذي وقعه له من قبل عن قيمة أرض تم الاتفاق على شرائها قبل أحداث ١٤ تموز...

يروي د. صالح البصام في سيرته عن مدينة الكاظمية بداية القرن الماضي فيصفها بأنها مدينة عامرة بالثقافة والمثقفين وقد برز منها الكثير من الشخصيات العراقية المهمة في العهد الملكي، كرؤساء وزراء مثل السيد محمد الصدر والدكتور محمد فاضل الجمالي ووزراء مثل الحاج عبد الحسين الجلبي والحاج عبد الهادي الجلبي وهو والد زوجة الدكتور صالح البصام السيدة ثمينة.

ورشدي الجلبي ومن رؤساء المعارف عبد الامير الأزري ومن مجلس الاعيان عبد الكريم الأزري والحاج محمود الاستربادي وباقر سركشك سركس رحمهم اللّه وغيرهم.

تخرج البصام من الاعدادية المركزية عام ١٩٣١ وتقدم للكلية الطبية الملكية في بغداد وانخرط فيها حيث تخرج منها بدرجة طبيب عام ١٩٣٨ وقد كانت هناك فترة انقطاع لفترة سنة واحدة أمضاها في معهد في فلسطين وبالضبط في مدينة صفد فيقول عن ذلك المعهد واحداث تلك السنة: كانت كلية صفد تقع على مرتفع من جبل صفد ومطلة على وديان وجبال وسهول فلسطين الجميلة

وقد كانت الكلية مهيأة لكل متطلبات الدراسة، ففيها غرف النوم مجهزة بالحمامات وقاعات

الدراسة الحديثة، وكانت الدراسة باللغة الانجليزية، وكان جميع مدرسيها ومديرها من الانجليز.

كانت صفد المدينة تقع على قمة جبل بالاسم نفسه، وكان شتاؤها بارداً، والثلج يتساقط طوال

فصل الشتاء، وبدت لنا مناظرها بمنتهى الروعة والجمال، وبدأت الدراسة في الكلية بوقت مبكر.

وكانت اللغة الانجليزية صعبة على بعض اعضاء البعثة العراقية ما حملهم على الضجر،

وانقطع بعضنا عن الحضور الى قاعات الدروس، وفي تلك السنة ازدادت قوافل الاسرائيليين

القادمة الى فلسطين ما أثار شعور الفلسطينيين وجعلهم يفكرون ان بلادهم تضيع منهم تدريجيا.

فضاعف ذلك من ثورتهم وهياجهم، وبعد مرور فترة من الدراسة وبسبب صعوبة اللغة الانجليزية

وللمؤاخاة مع الفلسطينيين فقد اندفع بعض طلاب البعثة وشاركو في العديد من مظاهرات الفلسطينيين.

متخلين عن مقاعد الدراسة معظم اوقات الدوام الرسمي، مما احرج ادارة الكلية، التي حاولت عبثا تدارك الامر لضمان عودة الطلاب الى الدراسة الجادة، فاضطرت بعد فشلها في هذا الامر الى اخبار وزارة المعارف العراقية بالامر وطلبت منها ان تجد حلا لهؤلاء الطلاب وتظاهراتهم

فأ رسلت وزارة المعارف مديرها العام سامي شوكت ليتدارك الامر مع ادارة الكلية غير ان

اصرار ادارة الكلية على رفضها للطلاب العراقيين جعل مدير المعارف العام يقوم بنقلنا

الى كلية (برمانا) في لبنان بعد ان اضعنا ستة أشهر من سنتنا الدراسية، ولقد كانت كلية

(برمانا) تدرس المتروكليشن ايضا ومعظم اساتذتها ومديرها كانوا من الانجليزايضاً،

وفي هذه الكلية البعيدة عن احداث فلسطين خلد اعضاء البعثة للهدوء والتحصيل الدراسي فسارت بنا الايام

هادئة، منتظمة، الى نهاية العام الدراسي، وفي العطلة الصيفية فضلت زيارة عائلتي في

بغداد، فسافرت على ان اعود في بداية السنة الدراسية الجديدة الى(برمانا) للحصول على

شهادة المتروكليشن، ولكن والدي اقترح علي البقاء في العراق وإكمال دراستي في احدى

الكليات التي فتحت حديثا، وشجعني اصدقائي واقاربي على ترك البعثة والانتساب الى

كلية الطب، وحبذت الفكرة، وفي صدري حنين طاغ الى اهلي واخوتي - ويروي عن معهد صقد انه

كان يعد الطلاب للحصول على قبول في الجامعات البريطانية، ولكن ذلك لم يتم بسبب ظروف فلسطين خلال تلك الفترة من الانتداب الانجليزي عليها، وتم تعيينه في مستشفى الاطفال ببغداد بعنوان طبيب بعد ان أكمل دراسته في كلية طب بغداد ١٩٣٨،وأثناء عمله في المستشفى الملكي وقعت حادثتان مروعتان ركز عليهما في مذكراته الاولى مقتل الملك غازي حيث كان الدكتور البصام وقتها يؤدي واجب الخفارة الليلية ليلة الثالث من نيسان ١٩٣٩ في المستشفى الملكي والحادثة الثانية إصابة وزير المالية رستم حيدر بطلق ناري يوم ١٨ كانون الثاني ١٩٤٠ وأدخل المصاب المستشفى الملكي ببغداد ويصف الدكتور البصام حالته إنها كانت مستقرة بعد إجراء عملية فتح بطن له إلا إن الحالة ساءت بعد ذلك وتوفي المصاب يوم ٢٢ كانون الثاني ,١٩٤٠

هل مات نوري السعيد منتحراً برصاصات مسدسه؟

الحنين الى الماضي

علي حسين

كل شيء في الماضي كان افضل هكذا يتحدث الجميع وهو حديث صادر عن حنين الى ايام الشباب والصبا وعندما كان كل شيء جميلاً ايام زمان.. الغناء. التمثيل.. الصحافة.. الادب.. هكذا يتحدثون- فهل ينطبق هذا الامر على الصحافة القديمة؟ البعض يقول ان الصحافة القديمة كانت اجمل برغم انها لم تحظ بالتكنلوجيا ما تحظى به صحافة اليوم.

لكنه الحنين الى الماضي.. هذا الماضي الذي يرتبط بصبا الشباب.. ولهذا دائماً ما يطالبنا القراء بان نرجع بالزمان الى فترات ترتبط بحياتهم الخاصة.

هل نستطيع ان نلبي كل هذه الرغبات؟ اعتقد ان ملحق ذاكرة عراقية سيسعى ان يغطي معظم مراحل تاريخ العراق منذ الاحتلال العثماني وسروراً بالانتداب البريطاني وحتى فترة السبعينيات

اننا نريد ان نعود بالذاكرة الى الوراء في هذا المشروع والطموح ليس لنا الا ان نتلمس رضا القارئ الذي لن يبخل علينا بملاحظاته القيمة.

ذكريات عن نظام الفتوة في العراق

كانت الحركة الكشافية في العراق نشيطة وبقيت كذلك حتى اواسط الثلاثينيات حين ظهر الى الوجود نظام الفتوة وصاحب فكرة هذا النظام هو الدكتور سامي شوكت الذي كان مديرا عاما فوزيرا للمعارف وقد طبق نظام الفتوة في بداية عهده على المدارس المتوسطة والثانوية ودور المعلمين فقط من دون الابتدائية ولكنه شملها جميعا فيما بعد .

وكان الفرق الرئيس بين نظامي الكشافة والفتوة هو ان منتسبي الكشافة لم يكونوا متدربين على استعمال السلاح بل كان كل ما يحمله الكشاف هو خنجر يستعمله في قطع الاغصان والاحبال وما اشبه اكثر من استعماله بصفة السلاح . اما الفتوة فكانت نظاما يهدف الى تدريب الناشئة تدريبا عسكريا بما في ذلك استعمال السلاح .

وكانت فكرة التدريب العسكري في المدارس قد بدأت في الثانوية المركزية ببغداد عام ١٩٣٢ -١٩٣٣ على اثر ما دعت اليه بعض الصحف من فائدة تدريب الشبان على السلاح والتمارين العسكرية اسوة بحركات الشباب الاخرى التي كانت تنتشر في بعض الاقطار الشرقية والغربية وخاصة في ايطاليا والمانيا وبلغاريا ومصر .

وقد شجعت وزارة المعارف حينها هذا الشعور الذي أبداه طلاب الثانوية المركزية واخذت تفاوض وزارة الدفاع في امر تدريب الطلاب على استعمال السلاح وجاء التشجيع كبيرا من هذه الوزارة التي زودت الطلاب بالألبسة العسكرية والتجهيزات والسلاح كما انها انتدبت عددا من الضباط للاشراف على تدريب الطلاب واكمل طلاب الثانوية المركزية مع مدرسيهم الذين شاركوا في التدريب دورتي المشاة والفروسية وحققوا نتائج مرضية وعاد هذا التدريب بفوائد كبيرة على الطلاب وخاصة اولئك الذين انتموا الى الكلية العسكرية منهم فيما بعد .

وفي تلك السنة نفسها ابدى طلاب (ثانوية البصرة) رغبة في التدريب اسوة بزملائهم في بغداد فاستجابت الحكومة لرغبتهم ايضا وجرى تدريبهم تحت ارشاد ضباط المنطقة الجنوبية . وتوقفت هذه الحركة خلال سنة ١٩٣٤ اذ عدها البعض خروجا عن التقاليد المدرسية والعادات المألوفة واخذوا يقاومونها . وصادف ان تأسست في بغداد في تلك السنة جمعية الجوال العربي من عدد من الاساتذة في الثانوية المركزية ودار المعلمين الابتدائية وبعض المدارس الابتدائية وخاصة المدرسة المأمونية التي كانت اصبحت مدرسة لتطبيقات دار المعلمين الابتدائية فشجعت وزارة الدفاع هذه الجمعية ولبت رغبتها في التدريب على استعمال السلاح وساعدتها بالضباط والسلاح والعتاد ومن ثم تدريب بعض اعضاء الجمعية خلال السنة الدراسية ١٩٣٤ -١٩٣٥ فاكملوا دورة المشاة واصول استعمال السلاح الابيض في ساحة القلعة . التي كانت مقر وزارة الدفاع وكذلك الرمي بالبندقية والمسدس في الوشاش والميدان الكبير في ام الطبول .

وفي هذه السنة نفسها اصدر احد اعضاء جمعية الجوال العربي هو الاستاذ سعدي خليل وكان مدرسا في تطبيقات دار المعلمين مجلة باسم الفتوة اخذت على عاتقها استنهاض الشبان الى الرجوع الى المثل العربية العليا وتقوية الروح القومية بينهم . .. ومن ذلك النظام العربي استوحت مجلة الفتوة اسمها وكان اسما مناسبا لمرحلة صدورها محببا الى الاسماع واستمر صدور الفتوة سنتين دراسيتين كاملتين .

وكانت مجلة مدرسية ثقافية راقية حفلت بمقالات باقلام نخبة من افضل الاساتذة والمربين بذلك الوقت ونجد بين كتاباتها اسماء كانت تتردد على صفحاتها بكثرة بينها اسماء درويش المقدادي ومتي عقراوي وناجي معروف وطه الهاشمي ومحمد امين العمري والدكتور صائب شوكت واكرم زعيتر وعبد المسيح وزير وعزيز سامي وخالد الهاشمي وحكمت عبد المجيد واكرم فهمي وابراهيم شوكت واحمد حقي الحلي والشيخ محمد مهدي كبة وعبد المجيد محمود وموسى علي وكثير غيرهم .

وكانت المجلة تشجع الاقلام الناشئة لنشر كتاباتها ولكاتب هذه السطور ثلاث مقالات وقصص مترجمة نشرت فيها .. وكان يومئذ طالبا في الصف السادس الابتدائي في المدرسة المأمونية وهي اول مانشر له قبل سبعة واربعين عاما وكان المرحوم عبد الستار القره غولي ينشر فيها منذ عهدها الاول قصائد وطنية قومية تناسب مستوى قارئيها من الطلاب وكان يوقعها باسم الفتى . حتى انه لقب في حينها شاعر الفتوة ولم تكن الفتوة تنشر كثيرا من الاعلانات وانما كانت تعلن عن صدور بعض الكتب التي تنفع الطلاب وقلما احتوت صفحاتها على اعلان تجاري ومن ذلك قليل، الاعلان الطريف التالي (في كربلاء اقصدوا الخياط الفني حسون فريد يكرم اعجوبة الخياطة الحديثة) العدد السادس السنة الثانية .. وعلى اية حال فقد ادت مجلة الفتوة خدمة ثقافية كبيرة وكان لها الاثر الكبير في توجيه الناشئة وغرس الروح الوطنية والقومية فيهم واعتزازهم بماضيهم المجيد وتاريخهم العظيم بالاضافة الى فكرة الفتوة .. واخيرا في تشرين الثاني من سنة ١٩٣٥ سنت وزارة ياسين الهاشمي نظام الفتوة رقم ٥٠ الذي نشر فيه الوقائع العراقية العدد ١٤٦٩ الصادر في السابع من تشرين الثاني ١٩٣٥ وكان صاحب الفكرة ومروجها هو الدكتور سامي شوكت مدير المعارف العام الذي جعل شعار هذه الحركة الجديدة الحديث النبوي الشريف (اخشوا شنوا فان الترف يزيل النعمة) .

وقد عرفت المادة الثانية من هذا النظام غايته الى انه يعود الفتيان على خشونة العيش وتحمل المشاق وخصال الرجولة والمفردات وتدريبهم على التمارين العسكرية والرماية وما يتابعها من خصال حب النظام والطاعة ونص النظام على وجوب قيام وزارة المعارف بانشاء مخيم صيفي سنوي في بقعة مناسبة من الجبال لفتيان المدارس الثانوية ودور المعلمين والصنائع كما انه قرر ان تكون البسة الفتيان شبه عسكرية وبسيطة من طراز تصنعه وزارة المعارف .. اما الفتوة في المدارس فقد نص النظام في مادته الحادية عشرة على ان وزارة المعارف ان تستفيد وحدات الجيش في المراكز التي توجد فيها وان تدخل في منهاجها تمارين اسبوعية خلال السنة الدراسية في التدريب العسكري للصفوف المنتهية من المتوسطات والثانوية ودور المعلمين والصنائع وان على وزارة الدفاع ان تقوم بتعيين مدرسين وتقديم الوسائط والعتاد لهذه الغاية كما نصت المادة نفسها على ان وزارة المعارف ان تخصص الوقت المناسب في المنهج لتعليم المصطلحات العسكرية والمعلومات البسيطة عن تاريخ الحرب وان تسعى لتعيين آمري الحظائر والطلائع في تشكيلات الكشافة من الناجحين في التدريب العسكري والمشتركين في الرمي وبموجب هذا النظام اسندت مديرية التربية البدنية والتدريب العسكري في وزارة المعارف الى ضابط عسكري قدير ذي نزعة قومية هو المرحوم العقيد صلاح الدين الصباغ كما عين المرحوم اكرم فهمي مدرس التربية البدنية في دار المعلمين مساعدا له . وقد طبق هذا النظام في جميع مدارس العراق المتوسطة والثانوية وبلغ عدد الفتيان المتدربين ٢١٤ فتى اكملوا دورة المشاة واصول استعمال السلاح وقاموا بعدة استعراضات محلية واذكر ان شركات سينمائية او اخبارية امريكية حضرت الى بغداد لإعداد فيلم وثائقي عن العراق ومعالمه وارادت ان تصور فيما تصوره لقطة لاحدى المدارس فارتأت ادارة المعارف ان يتم التصوير في احد صفوف الغربية المتوسطة وكان في ذلك الوقت طلابا في الصف الاول المتوسط الذي يقع الاختيار عليه وقيل لنا ان نستعد للتصوير في اليوم التالي وان نظهر بقيافة جيدة ومظهر لائق واحضرت المعدات الى الصف في صباح اليوم التالي وأركبت عاكسات الضوء الفضية فلما دخل المخرج وراء الطلاب بالملابس العسكرية ثارت ثائرته ورفض ان يصور مدرسة مدنية طلابها يرتدون الزي العسكري وكان المدرس هو المرحوم فؤاد جميل مدرس اللغة الانكليزية. فجرى نقاش حاد بينه وبين المخرج الذي كان يهوديا في اغلب الظن وادركنا من القليل الذي فهمناه مما دار بينهما باللغة الانكليزية ان سبب الرفض هو ان منظر الطلاب هو شبيه بمنظر المدارس الالمانية النازية ولم يقتنع المخرج الا بعد ان اكد له المدير بأن هذا هو الزي المستعمل في جميع المدارس المتوسطة والثانوية في العراق وانه لن يجد مدرسة تخلو منه فأذعن على مضض وجرى التصوير اخيرا ولكننا لم نسمع شيئا عن الفيلم ومصيره بعد ذلك .

وبقي نظام الفتوة معمولا به حتى سنة ١٩٤١ وقيام حركة مايس في تلك السنة فلما فشلت تلك الحركة الوطنية وعاد النفوذ البريطاني قويا بعدها وسيطر على وزارة المعارف خلال سني الحرب العالمية الثانية خبراء بريطانيون (هملي وسكيف وغيرهما) الغي نظام الفتوة الذي يعتبره خصوم المبادىء القومية تقليدا بمنظمات الشبيبة الفاشيستية والنازية في المانيا وايطاليا وغيرهما ..

وهو في الحقيقة لم يكن كذلك وانما كان نظاما يهدف الى غرس الروح العسكرية والقومية في نفوس الناشئة وذلك مالم يرق للانكليز في تلك الفترة وكان مناقضا لسياستهم التعليمية ومصالحهم وخاصة في ظروف الحرب وقد هاجمت بعض الصحف الدكتور سامي شوكت صاحب فكرة الفتوة ومنفذها واتهمته بالتطرف والنازية حتى ان جريدة الأهالي وصفته بمناسبة لاحقة موزلي العراق تشبيها له بالسير اوزوالد موزلي رئيس الحزب النازي البريطاني وهكذا انتهى ذلك النظام الذي لم يكتب له ان يعيش اكثر من خمس سنوات.

غلاف مجلة الفتوة التي صدرت في الثلاثينات